



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

مستقبل التحالف الروسي-الإيراني-التركي

أحمد حسن علي



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © 2018

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

مستقبل التحالف الروسي-الإيراني-التركي

أحمد حسن علي *

لم يكن في الحسبان حين بدء الحرب السورية أن يمكن لتحالف ثلاثي بعد سبع سنوات الظهور وتغيير توازن القوى في الشرق الأوسط؛ ما قد يؤدي إلى تفكيك حلف الناتو أو احتمالية خروج تركيا منه مع أنها تشترك بثاني أكبر قوات بهذا الحلف.

إن هذا التحالف الثلاثي يجعل من الصعوبة بمكان على إدارة الرئيس الأمريكي ترامب أن ينجح في حصار إيران، فضلاً عن إجهاض مشروع الإقليم الكردي في سوريا التي تعدها الولايات المتحدة من أفضل حلفائها في المنطقة.

والغريب في هذا التحالف الثلاثي -الروسي، والإيراني، والتركي- أن البلدان الثلاثة تمتلك أجندات مختلفة عن بعضها بسياسات مغايرة عبر مزيج من الأهداف الداخلية والخارجية. وباختصار: إن هذا التحالف «هش ومعقد»، وإن استمراره في مواجهة أي تحرك عسكري مشترك -أمريكي بريطاني فرنسي- على سوريا غير واضح، ولكن على المدى البعيد سيقى التحالف قائماً بعد انتهاء الحرب السورية.

لقد قام هذا التحالف على هدف محدد ألا وهو تطبيع الوضع السوري على المدى الطويل، عبر مواصلة تعزيز القضاء على الإرهاب الدولي، واستقرار العملية السياسية في سوريا، وخلق الظروف اللازمة لعودة النازحين السوريين في الداخل واللاجئين في الخارج.

مؤتمرات السلام السورية

منذ أكثر من سبع سنوات عُقدت اجتماعات كثيرة من أجل السلام في سوريا لكن جميعها باءت بالفشل، بدءاً من خطة السلام ذات النقاط الست التي اقترحتها الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان في عام 2012 بالاتفاق مع جامعة الدول العربية⁽¹⁾.

إذ كانت النقطة الأولى في خطة السلام الأممية هي التحضير من أجل عملية سياسية شاملة في

* باحث في مركز البيان للدراسات والتخطيط.

سوريا لمعالجة التطلعات المشروعة للشعب السوري. وفي النقطة الثانية الالتزام بوقف القتال وتدخل الأمم المتحدة للإشراف على نحو فعال في إيقاف العنف المسلح من قبل جميع الأطراف؛ لحماية المدنيين، وتحقيق الاستقرار في البلاد.

وفي تلك المرحلة، طلب الأمين العام السابق للأمم المتحدة من الحكومة السورية ألا تستخدم قواتها الأسلحة الثقيلة في المراكز السكانية، وأن تبدأ بسحب العناصر العسكرية من التجمعات السكانية وما حولها. لكن خطة عنان للسلام لم تتطرق لذكر المعارضة المسلحة، بما في ذلك الجماعات الجهادية العلنية أو غير العلنية وقوات سوريا الديمقراطية ذات الأغلبية الكردية.

ومع ذلك، فإن مبعوث الأمم المتحدة الذي صاغ «خطة السلام ذات النقاط الست» كان ينبغي أن يسعى -قبل كل شيء- إلى الاتفاق على تصنيف وضع المعارضة -أي الجهاديين والفصائل الكردية وتنظيم داعش-. وحتى الآن لا أحد يعرف كيف كان بإمكان خطة كوفي عنان تحقيق «وقف فعال للعنف المسلح».

وطلبت النقطة الثالثة في خطة عنان «ضمان توفير المساعدات الإنسانية لجميع المناطق المتضررة من القتال»؛ وهنا تساءل المراقبون، كيف يمكن الوصول إلى المناطق التي تحت سيطرة الجهاديين؟ وحثت النقطة الرابعة «على تكثيف وتيرة وحجم إطلاق سراح الأشخاص المحتجزين تعسفاً»، أي ضمان العودة الآمنة لأكثر من مليون محتجز في المخيمات وملايين النازحين، والسؤال كان في كيفية إرغام الجماعات الجهادية على تقبل عودة النازحين.

وحثت النقطة الخامسة على «ضمان حرية الحركة للصحفيين في جميع أنحاء البلاد»، ودعت النقطة السادسة إلى «احترام حرية تكوين الجمعيات والحق في التظاهر السلمي على نحو قانوني». في المقابل، أرادت الأمم المتحدة فرض عقوبات صارمة ضد النظام السوري في المدة ما بين 2011 و2012، التي واجهت رفض من قبل روسيا والصين في مجلس الأمن. وفشلت خطة عنان لأنها لم تكن خطة سلام حقيقية، وتوقفت اللجنة المشتركة الأُممية العربية عن العمل في سوريا.

وفي تلك المرحلة -وبمساعدة الجهات الفاعلة الدولية- شاركت المعارضة السورية في محادثات جنيف بما في ذلك بعض الجماعات الجهادية، لكنها الدول الداعمة ضد النظام السوري فشلت في تشكيل حكومة انتقالية من جميع أطراف المعارضة المسلحة المتحاربة.

وفي 2014، بدأت مرحلة جنيف الثانية؛ بهدف تهيئة الظروف لإجراء محادثات جديدة أكثر فعالية. ومع ذلك، لم تشارك المعارضة الكردية المسلحة ولا المجموعات الجهادية المختلفة، والأهم أن النظام في دمشق لم يشارك بعد تحذير الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما من عدم بقاء الأسد في السلطة⁽²⁾.

وفي تلك المدة، بدأت عمليات تنظيم داعش بين العراق وسوريا، وفي الوقت نفسه أنشأت الولايات المتحدة تحالفاً دولياً من 79 دولة للقضاء على دولة داعش. وعندما بدأ الجيش السوري بالانهيار، تدخلت روسيا مباشرة في الحرب السورية. ومع نهاية 2015، تم تأسيس مجموعة دعم سوريا الدولية من عشرين دولة ومنظمة دولية -بما في ذلك إيران-، ضمن إطار الأمم المتحدة؛ بهدف صياغة مسودة اتفاقية تُقدم إلى مؤتمر فيينا المستقبلي.

وقد تم تضمين المقترح النهائي لمجموعة دعم سوريا في قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2254)، مع خارطة طريق لعملية السلام في سوريا وتحديد جدول زمني لإجراء مزيد من المحادثات. ونص القرار رقم (2254) على مدة أقصاها ستة أشهر للمفاوضات بين الحكومة والمعارضة، دون مزيد من التفاصيل والمواصفات بشأن طبيعة المعارضة المسلحة الجهادية أو غيرها⁽³⁾.

ومن طرف واحد، أعلنت المملكة العربية السعودية تنظيم لجنة مفاوضات عليا من معظم الجماعات الجهادية في ذلك الوقت في سوريا، وضمت اللجنة أيضاً أعضاء من المجلس الوطني الكردي الذين انسحبوا بعد مدة قصيرة، وأعضاء من اليسار السوري، مع آخرين اختفوا في وقت لاحق. وقد استضافت الحكومة البريطانية هذه اللجنة لاحقاً. وكانت قضية الخلاف الأساسية في هذه اللجنة هي الأكراد السوريون، الذين استبعدوا من المفاوضات بفضل الضغط التركي⁽⁴⁾.

وفي وقت لاحق، بدأت جنيف الثالثة التي فشلت بنحو سريع بسبب الانتصارات العسكرية للنظام السوري بدعم من روسيا وإيران. وأخيراً، بدأت مرحلة جديدة من جنيف الرابعة التي استضافت فيها محادثات أخرى بين حكومة بشار الأسد ولجنة المفاوضات العليا المدعومة سعودياً⁽⁵⁾.

ومن جانب آخر، بدأت أيضاً محادثات جادة في أستانة عاصمة كازاخستان عبر سلسلة غير مباشرة من المحادثات بين النظام السوري وروسيا، ثم إيران، وتركيا، مع مجموعات من الجهاديين الذين شاركوا في المحادثات باهتمام غير اعتيادي. وتمكنت محادثات أستانة من التوصل إلى هدنة بين الأطراف المتصارعة⁽⁶⁾.

في أيلول 2017 أنشئت أربع مناطق لخفض التصعيد في سوريا برعاية الدول الثلاث والجماعات الجهادية، وشملت تقريباً جميع المناطق التي شهدت القتال بين الحكومة والجماعات الجهادية⁽⁷⁾.

ماذا تريد كل من روسيا وإيران وتركيا؟!

تدعم روسيا منذ زمن طويل النظام السوري، إذ زودت القوات الحكومية بالدعم الجوي والأسلحة، وقدمت لها الدعم الدبلوماسي في الأمم المتحدة وفي محادثات السلام الدولية، فضلاً عن أن لروسيا قوات على الأرض السورية.

وقد تدخلت روسيا بنحوٍ مباشر في سوريا في تشرين الأول 2015 حينما بدأت بشن غارات جوية ضد أهداف للجماعات الجهادية، وقالت روسيا إن الولايات المتحدة تستخدم القوة العسكرية ليس ضد داعش وإنما لإبطاء التقدم العسكري السوري⁽⁸⁾.

وما تريده موسكو هو بقاء الرئيس الأسد على السلطة وتأمين نفوذها العسكري في المنطقة، إذ أن لديها قاعدة جوية عسكرية مهمة في محافظة اللاذقية غرب سوريا وقاعدة بحرية في مدينة طرطوس الساحلية. وتسعى القيادة الروسية إلى عقد اتفاق سلام واسع بين الفصائل المعتدلة في سوريا يسمح للأسد بالبقاء؛ لذا توجهت روسيا لرعاية محادثات أستانة مع إيران وتركيا.

فيما كانت تركيا منذ بداية الحرب السورية إحدى الداعمين الرئيسيين للمعارضة السورية غير الكردية بما في ذلك الجيش السوري الحر، وشنّت القوات التركية غارات جوية ضد أهداف لتنظيم داعش كجزء من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، ونفذت غارات جوية أحادية الجانب ضد قوات المعارضة الكردية في شمال سوريا، وأرسلت قوات برية إلى داخل الأراضي السورية لمحاربة داعش والقوات الكردية كجزء من العملية التي نفذتها تركيا والمعروفة باسم «درع الفرات».

وما تريده تركيا بالدرجة الأساس هو منع تحقيق أية مكاسب للأكراد في الحصول على إقليم مستقل على الأراضي السورية أو الحصول على حكم ذاتي في أي تسوية ما بعد الحرب. وترى تركيا أن المقاتلين الأكراد السوريين مرتبطون بحزب العمال الكردستاني الذي خاض حرباً استمرت أكثر من ثلاثة عقود مع القوات التركية.

وفي الآونة الأخيرة، بدأ القادة الأتراك مضطربين حول ما إذا كان ينبغي السماح للأسد بالبقاء في السلطة في اتفاق سلام نهائي، عبر محادثات السلام التي تدعمها تركيا في مفاوضات أستانة بينما

عارضت بشدة مشاركة الفصائل الكردية في محادثات السلام.

ومن جانبها تدعم إيران حكومة الأسد منذ زمن طويل وقدمت للنظام الحاكم مساعدات عسكرية كبيرة، ودخلت بنحو مباشر وغير مباشر في محاربة الفصائل المتطرفة ضمن المعارضة السورية، في توجه مشابه لروسيا. وما تريده إيران منذ مدة طويلة هو إسناد الأسد ضد المنافسين الإقليميين (إسرائيل والمملكة العربية السعودية).

لذلك انضمت إيران إلى محادثات جنيف للسلام في نهاية 2015 بعد أن أسقطت الولايات المتحدة معارضتها للمشاركة الإيرانية، ثم رعت طهران محادثات السلام في أستانة إلى جانب تركيا وروسيا؛ وسجلت إيران النجاح الذي لا شك فيه في كونها جزءاً من الائتلاف الرابع مع تركيا وروسيا، في وقت تبذل فيه الولايات المتحدة مع المملكة العربية السعودية قصارى الجهد لتهميش إيران على الساحة الدولية. وتريد الجمهورية الإسلامية أن تكون جزءاً من برنامج إعادة الإعمار السورية؛ وبالتالي ضمان وجودها على الأرض.

وكان على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان - كجزء من التحالف مع روسيا وإيران - أن يتخلى عن هدفه في الإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد والاتفاق في هذه المرحلة على أن تنسحب القوات التركية من المناطق التي استولت عليها في شمال سوريا، حيث طلبت كل من روسيا وإيران من تركيا تسليم المناطق التي احتلها الأتراك إلى الجيش السوري.

وكانت تركيا على خلاف مع حلفائها التقليديين في الناتو بشأن نزاع يخصص موارد النفط والغاز في البحر بين اليونان وقبرص. وغضب الرئيس أردوغان من رفض دول الاتحاد الأوروبي تسليم الجنود والمدنيين الأتراك الذين اتهموا بالتخطيط لانقلاب عام 2016. بالمقابل أدانت معظم دول الناتو قيام موسكو باغتيال معارضين روسيين في بريطانيا، إلا أن الأتراك لم يوجهوا أي إدانة لروسيا.

ولا يدعم الروس حرب الرئيس أردوغان على الأكراد وحاولوا ضمّ وفود كردية في المفاوضات حول مستقبل سوريا. لكن من الواضح أن موسكو أعطت أنقرة الضوء الأخضر لمهاجمة الأكراد الذين صاروا جزءاً من التحالف الأمريكي الذي بدوره لم يتصادم مع الجيش التركي خلال مهاجمته للفصائل الكردية. ومثل هذا الصدام يبدو غير محتمل، على الرغم من أن القيادة التركية وجهت خطابات شديدة اللهجة ضد دول التحالف الأمريكي، واعتبرت أن الولايات المتحدة خانَت تركيا بتقديم الدعم للفصائل المصنفة إرهابياً في تركيا⁽⁹⁾.

لقد أظهرت كلٌّ من روسيا وتركيا وإيران أولويات متعارضة ومصالح مختلفة في سوريا والمنطقة برمتها، وللدول الثلاث أجنداتها الخاصة. في إيران ومنذ عقود في موقف معادٍ للولايات المتحدة، وزادت شدة العداوة منذ أن أصبح دونالد ترامب رئيساً. في حين أن تركيا هي حليف للناتو لكن بعلاقات متوترة حالياً مع واشنطن، ولاسيما بسبب الدعم الأمريكي للفصائل الكردية في سوريا. أما روسيا فإنها تنظر إلى الولايات المتحدة مثلما كانت على عهد الاتحاد السوفيتي -منافس جيوسياسي ينبغي إحباطه أينما وُجد وحيثما كان ذلك ممكناً-، وقد وصف وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف العلاقات الثنائية بأنها «أسوأ مما كانت عليه في أثناء الحرب الباردة»⁽¹⁰⁾.

وعلى ذلك، فإن الدول الثلاث تجتمع لمواجهة الوجود الأمريكي وإنشاء قوة موازنة مضادة، وتعمل الدول الثلاث كما لو أنها تتخذ القرارات توافقياً لتصنع سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة، القاسم المشترك الأساس.

لكن في الوقت نفسه، لا تمنع تركيا من الوجود الإيراني في سوريا على أن يرحل الأسد (وهو ما ترفضه روسيا وإيران). وتريد روسيا علاقات أوثق مع تركيا ولكنها تحتاج أيضاً إلى نظام الأسد لمد نفوذها في الشرق الأوسط وبقاء قاعدتها البحرية المتوسطة في طرطوس (وهو ما ترفضه تركيا). وتسعى إيران إلى الحفاظ على خطوط الإمداد لحزب الله في لبنان وإبعاد تركيا عن العراق (وهو ما ترفضه تركيا أيضاً).

وإذا كانت إيران تريد الحصول على دعم روسيا وتركيا في مواجهة الولايات المتحدة وإسرائيل والمملكة العربية السعودية، فإن تركيا تسعى أيضاً إلى الحصول على دعم مطلق من روسيا وإيران؛ لتمديد عملياتها إلى شرق سوريا حتى نهر الفرات وصولاً إلى نهر دجلة، حيث وجود القوات الأمريكية جنباً إلى جنب مع الوحدات البريطانية والفرنسية والفصائل الكردية.

ماذا لو انهار الاقتصاد التركي؟

بعد انخفاض قيمة العملة التركية من الممكن أن يدخل الاقتصاد التركي في حالة ركود بسبب ارتفاع الدين العام، ومع استمرار فرض الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية على تركيا ستعكس التأثيرات على النواحي الاستراتيجية والعسكرية.

وتعدُّ تركيا نفسها الحاجز الذي يمنع انتقال مآسي حروب الشرق الأوسط إلى أوروبا. وفيما

كانت تركيا قبل بضع سنوات تستعد للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي كدولة كاملة العضوية، نجدها اليوم على علاقات متوترة مع أوروبا والولايات المتحدة. وتحد تركيا من الشرق والجنوب ست دول، هي: (جورجيا، وأرمينيا، وناخشفان (أراض تابعة لأذربيجان)، وإيران، والعراق، وسوريا). خمس منها دخلت بنحو غير مباشر في نزاع مسلح مستمر أو بحرب مباشرة. وترى تركيا نفسها أنها تمنع تنظيم داعش من الدخول إلى اليونان ثم إلى أوروبا، وتحافظ على الحرب السورية داخل سوريا، وتمنع روسيا من العودة إلى بلغاريا.

وقد عبر الرئيس التركي عن غضبه في مقال بصحيفة نيويورك تايمز على العقوبات الاقتصادية الأمريكية، قائلاً إن لتركيا بدائل، وإن الاتجاه الأحادي الأمريكي وعدم الاحترام تجعل تركيا تبحث عن أصدقاء وحلفاء جدد⁽¹¹⁾.

ويبدو أن هناك جملة أمور أغضبت الرئيس أردوغان، منها: اعتقاده أن رفع أسعار الفائدة ستؤدي إلى نتائج اقتصادية سيئة على تركيا. وناقش من الناحية التاريخية أن ارتفاع أسعار الفائدة يسبب في الواقع إلى ارتفاع التضخم، فيما يعتقد الخبراء أن ارتفاع الفائدة يؤدي إلى خفض التضخم بجعل الأموال أكثر تكلفة.

من حيث المبدأ، حينما يرفع البنك المركزي أسعار الفائدة فإنه يبيع السندات ويأخذ العملة من تلك المبيعات؛ وبالتالي يجعل من عملته الخاصة أكثر ندرة وأكثر قيمة. وتشجع معدلات الفائدة العالية المدخرين على إيداع الأموال في المصارف التركية. ويرى الخبراء أن هذا هو بالضبط ما تحتاج إليه تركيا لمنع الانهيار الاقتصادي الأوسع.

وفي أثناء منتصف شهر أيلول -وبخلاف التوقعات- فاجأ البنك المركزي التركي الأسواق برفع سعر الفائدة بنحو أكبر من المتوقع لتعزيز الليرة؛ مما رفع من قيمة الليرة قليلاً. وعلى الرغم من رفع سعر الفائدة بنحو حاد من قبل البنك المركزي التركي، فقد واصلت الليرة انخفاضها بعد صعود يسير وسط تضخم هائل⁽¹²⁾.

وانخفضت الليرة في الأشهر الماضية بسبب المخاوف من الوضع الداخلي والأزمة في العلاقات مع الولايات المتحدة. وقال البنك المركزي التركي في تقرير نشرته بعض وسائل الإعلام: إن تطورات التضخم تشير إلى «مخاطر كبيرة على استقرار الأسعار»؛ بسبب الانخفاض الأخير في قيمة الليرة، وإن «التراجع في سلوك التسعير يستمر في فرض مخاطر تصاعديّة على توقعات التضخم على الرغم

من ضعف الطلب المحلي»، وأضاف التقرير أن «الموقف الصارم في السياسة النقدية سيحافظ على نحو حاسم إلى أن تظهر توقعات التضخم تحسناً كبيراً»⁽¹³⁾.

ويبدو أن تركيا بدأت تفكر في السيناريو الأسوأ ألا وهو البحث عن أصدقاء جدد لإنقاذها. ومن وجهة نظر استراتيجية أو عسكرية، يرى أردوغان أن البحث عن أصدقاء جدد بات مسألة مهمة. حيث إن لدى تركيا الكثير من القواسم المشتركة مع إيران وروسيا، فهم جميعاً هدف للعقوبات الأمريكية. وإذا لم يستطع الغرب إيجاد طريقة للتصالح مع تركيا، وإذا لم يغير أردوغان نهجه الحالي بالتقارب مع روسيا وإيران لمواجهة ما يعده الخطر الكردي، وإذا استمرت الولايات المتحدة بالعقوبات؟ فإن السيناريو الأسوأ هو أن تتجه الحكومة التركية إلى أصدقاء جدد لإنقاذها، فيما تستمر الليرة بالهبوط.

هل يمكن أن تصادم روسيا مع تركيا!؟

تعدُّ مسألة أمن محافظة إدلب السورية العثرة الكبيرة في العلاقات بين روسيا وتركيا. إذ بالنسبة لتركيا، فإن أمن إدلب غير قابل للتفاوض حيث انتشر فيها الجيش التركي منذ العام الماضي، وتشكل نقطة قوة سياسية حاسمة للرئيس أردوغان. ومن دون ضمانات أمنية روسية في إدلب، فإن أمام تركيا إما أن تقوم بالتصعيد العسكري وإما الكف عن المشاركة في تشكيل مستقبل الحكم السوري؛ وبالتالي تعاملت روسيا باحترام مع تركيا وعقدت اتفاقية لحل الخلاف. وإن احترام روسيا للمصالح التركية في سوريا جاء لاستباق خروج أردوغان من محادثات أستانة.

لقد نجح الرئيس فلاديمير بوتين في الاستفادة من المخاوف الأمنية التركية بعد الانتصارات التي حققها الجيش السوري، وبالوقت نفسه قدم الدعم السياسي لتركيا ضد الفصائل الكردية في سوريا، وكانت النتيجة تحقيق التعاون في عدة مجالات وأهمها في عملية السلام السورية في أستانة.

ومنذ أيار 2017، حققت محادثات أستانة بين الروس والأتراك والإيرانيين نتائج ملموسة على الأرض السورية بتحديد أربع مناطق لخفض التصعيد في سوريا. ومن المفارقات أن محادثات أستانة أدت إلى استيلاء الجيش السوري على ثلاث من مناطق وقف إطلاق النار المذكورة.

واليوم، بقيت محافظة إدلب كمعقل أخير للمعارضة السورية ولكنها -على عكس المناطق الأخرى- تتعارض مصالح جميع القوى الكبرى في إدلب مما يزيد من مخاطر المواجهة بينها بنحو كبير⁽¹⁴⁾.

إن أي عملية عسكرية كبرى للنظام السوري ستؤدي إلى توجه الجماعات المعارضة المسلحة تجاه تركيا، إذ إن إدلب أصبحت إحدى أكثر المناطق كثافة للأشخاص النازحين داخلياً، وتشير التقديرات إلى أن نصف سكان إدلب البالغ عددهم أكثر من مليوني نسمة قد نزحوا خلال السنوات الثماني الماضية، ووصل بالفعل مئات الآلاف من النازحين الجدد إلى المحافظة في العام الماضي.

وأظهرت تركيا استعدادها لاستخدام القوة العسكرية في سوريا لتأمين مصالحها المتصورة. وركزت كل من عملية درع الفرات وغصن الزيتون على الاستجابة للتطورات المرتبطة بتهديد الفصائل الكردية لأمن أنقرة على حدودها الجنوبية. وقد أعرب أردوغان نفسه عن قلقه من هجوم الجيش السوري على المعارضة في إدلب في عدة مناسبات⁽¹⁵⁾.

إن الكيفية التي تنتهي بها الأزمة في إدلب ستعكس بظلالها على العلاقات الروسية-التركية. فمنذ أواخر عام 2015، اتبعت كل من روسيا وتركيا استراتيجية عسكرية في سوريا قائمة على التفاهم المشترك، وعلى الرغم من إسقاط الأتراك للطائرة الروسية وما أعقبها من اغتيال السفير الروسي في تركيا فقد استمرت الشراكة؛ وهذا الأمر أثار دهشة المراقبين.

ومن جانب آخر، فقد هُمّشت الولايات المتحدة في المحادثات الثلاثية التي تشكل المستقبل السياسي في سوريا. وأظهرت السنوات الثلاث الأخيرة أن الولايات المتحدة ليست في وضع جيد للتعاون مع روسيا في سوريا. ومع ذلك، ما يزال بإمكان الولايات المتحدة استعادة تركيا كشريك مهم. لكن الخلافات الأخيرة بين إدارة ترامب والرئيس أردوغان بشأن احتجاز القس الأمريكي أندرو برونسون فرضت عقوبات على الاقتصاد التركي من خلال زيادة الرسوم الجمركية الأمريكية على الفولاذ والألمنيوم؛ مما أدى إلى إضعاف العلاقة الأمريكية التركية.

وفي شهر أيلول 2018، وافق الرئيس التركي مع نظيره الروسي على إنشاء منطقة منزوعة السلاح في إدلب. وعدت أنقرة الاتفاق نجاحاً دبلوماسياً كبيراً، لكنها تواجه مهمة ليست بالسهلة في إزالة الجماعات المتطرفة وسحب أسلحتهم الثقيلة من منطقة تمتد من 15 إلى 20 كيلومتراً بحلول الخامس عشر من تشرين الأول، مثل حركة تحرير الشام (القاعدة) وهي قوة جهادية قوامها نحو ثلاثين ألف شخص في غرب إدلب بالقرب من الحدود التركية وداخل مدينة إدلب نفسها. والسؤال هنا كيف سترغم تركيا الجهاديين بتسليم أسلحتهم وترك مواقعهم؟!⁽¹⁶⁾.

وقد أشارت الحكومة التركية إلى أنها ستحاول إقناع الجماعات الجهادية وإلا ستستخدم القوة لإجبارها على مغادرة المنطقة المنزوعة من السلاح. وستحرص أنقرة على تجنب المواجهة العسكرية، وستتطلع إلى تأثيرها على المعارضة التي تلقت الكثير من الدعم التركي، لكن الجماعات المتطرفة مثل تنظيم داعش والقاعدة والنصرة لن ترضخ بسهولة. وتأمل روسيا أن تنجح تركيا في إقناع الجميع بالمغادرة، وهو أمر صعب جداً.

وتريد تركيا سيطرة المعارضة السورية الموالية لها على مناطق إدلب المجاورة لها لتفادي أي تهديد أمني على تركيا، وسيتم توفير ما يكفي من الضمانات الأمنية لعودة اللاجئين السوريين في تركيا. وترى القيادة التركية أنها بعقد هذا الاتفاق مع موسكو قد أزلت خطر الخروج الجماعي الكبير من اللاجئين في إدلب إلى تركيا.

خلاصة القول

في أوائل أيلول 2018، أعلنت إدارة ترامب بقاء القوات الأمريكية إلى أجل غير مسمى في سوريا، بعد أن أعلن في وقت سابق أنه يريد سحب الجنود الأمريكيين. وفي الوقت نفسه طالبت بأن تسحب إيران قواتها من سوريا رغم توقيع طهران اتفاقية تعاون عسكري مع دمشق التي أوضحت أنها لا تنوي المغادرة قريباً.

هدف إيران النهائي هو ردع الولايات المتحدة والحد من نفوذها وجعل وجودها العسكري هناك أكثر كلفة. وللقيام بذلك، فإنها تركز جهودها على شمال سوريا حيث تحاول إقامة حقائق جديدة على الأرض بمساعدة روسيا وتركيا⁽¹⁷⁾.

وتتشارك كل من إيران وروسيا وتركيا في النظر إلى القوات الأمريكية الموجودة في المنطقة الواقعة شرق نهر الفرات التي هي تحت سيطرة الفصائل الكردية السورية، على أنها -القوات الأمريكية- عامل أساس في عدم التوصل إلى حل سلمي للحرب السورية. فيما تعدها الحكومة السورية قوات احتلال تمنع شرق الفرات من الانضمام إلى بقية الأراضي السورية المحررة.

ومع التوصل إلى اتفاق لحل أزمة محافظة إدلب، تسعى إيران مع الحكومة السورية في السيطرة على إدلب إما من خلال الوسائل الدبلوماسية أو العسكرية؛ الأمر الذي سيترك الأراضي التي تسيطر عليها الفصائل الكردية بمنزلة الحاجز الأخير للسلام. وهذه النقطة بالذات في صالح تركيا

التي أجرت عمليتين عسكريتين ضد الفصائل الكردية المدعومة من الولايات المتحدة.

لكن الخلاف الذي حصل بين إيران وروسيا من جهة وتركيا من جهة أخرى في قمة طهران كان في السعي إلى التوافق في الآراء للتحرك ضد المعارضة المسلحة على غرار مناطق خفض التصعيد الأخرى. لكن تركيا فضلت الاتفاق مع روسيا بشأن إدلب. ومهما يكن فإن الهدف التالي ستكون المنطقة الكردية حيث تتلقي المصالح التركية مع الروسية والإيرانية، التي قال عنها الرئيس الإيراني حسن روحاني إن الخطوة الأخيرة لحل الأزمة السورية ستكون في شرق الفرات، ويقصد حيث وجود القوات الأمريكية.

إن إيران التي أعربت عن دعمها لاتفاق إدلب بين الروس والأترك ترى أنها تسوية مؤقتة في حل الخلافات مع تركيا بشأن إيجاد حلّ دائم لإدلب. وإن اتفاق إدلب والمنطقة منزوعة السلاح سيؤجل العمليات العسكرية مؤقتاً فقط.

تعاني الدول الثلاث من عقوبات الولايات المتحدة ولديها مشكلات حقيقية مع إدارة الرئيس ترامب. وتتشارك الدول الثلاث في مخاوف جيوسياسية حول الولايات المتحدة.

المصادر:

- (1) Text of Annan's six-point peace plan for Syria, reuters.com
- (2) What is the Geneva II conference on Syria?, bbc.com
- (3) Security Council Unanimously Adopts Resolution 2254 (2015), un.org
- (4) Syrian opposition HNC meets in Riyadh to find «fair solution» to conflict, trtworld.com
- (5) Syria war: Peace talks restart in Geneva, bbc.com
- (6) Russia, Turkey, Iran discuss Syria ceasefire in Astana, reuters.com
- (7) Russia, Turkey, Iran agree on Syria de-escalation zones, reuters.com
- (8) Russia joins war in Syria: Five key points, BBC
- (9) Turkey sees betrayal as US backs Syrian Kurds, CNN
- (10) Lavrov: Russia-West relations are worse than in Cold War era, tass.com
- (11) Erdogan: How Turkey Sees the Crisis With the U.S., Recep Tayyip Erdogan, nytimes.com
- (12) Defying Erdogan, Turkey's Central Bank Raises Interest Rates, nytimes.com
- (13) Turkey central bank stuns markets with huge rate hike, rte.ie
- (14) Turkey, Russia, Iran convene ahead of Astana talks, dailysabah.com
- (15) Erdogan Warns Of «Massacre» In Idlib As Syrian Government Prepares Assault, rferl.org
- (16) Russia and Turkey agree to create buffer zone in Syria's Idlib, Reuters

(17) Bolton: U.S. forces will stay in Syria until Iran and its proxies depart, [washingtonpost.com](https://www.washingtonpost.com)

(18) What does Iran want in northern Syria, [aljazeera.com](https://www.aljazeera.com)